الغنية

لطالبي طريق الحق

عز وجل

للإمام

عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني

(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

طبعة جديدة مصحّحة ومفهرسة

قدّم لها وخرج آياتها

محمّد خالد عمر

أعدّ فهارسها

رياض عبد الله عبد الهادي

الجزء الأول

دار إحياء التراث العربي

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

جميع الحقوق محفوظة
لدار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

ص.ب.: ٧٩٥٧/١١ ـ فاكس: ٠٠١ ٢١٢ ٤٧٨٣٤٢٢
تلفون: ٨٣٦٦٩٦ - ٨٣٦٧٦٦ - ٨٣٦١٤٦ - ٨٣٦٥٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

عندما أقدمت على دراسة كتاب الغنية لمؤلفه الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني رحمه الله والتقديم له كنت أعلم أن المهمة ليست سهلة وإن دراسة أي موضوع قادم إلينا من التاريخ يحتاج منّا إلىٰ وقفة طويلة متفكرة. كما يحتاج منا موقفاً ينطلق من مقولة: إن ما وصلنا من التاريخ من كتب أو آراء ـ كثير منها علقت في أجسامها أدران عبر مسيرتها في القرون المتتابعة أو بترت من أجسامها أعضاء أساسية بشكل غير مقصود حيناً أو بشكل مقصود حيناً آخر ـ إمّا من أصحاب المصلحة مباشرة أو من جنّدوا أنفسهم لخدمتهم وأما ما بقي من الحقيقة في النص فقد لحقه بعض التشويه أو لحقه المرض نتيجة الحذف أو الإضافة.

من هنا كان على القارىء أن يعد العدَّة ويهيىء الأداة الفكرية الواعية المعتمدة على الأرضية الثقافية الجيدة الخالية من الأهواء، وعلى الرؤية العلمية الحاذقة الخالصة لوجه الله. حتى يتمكن نسبياً أن يفصل فيما يقرأ بين الأعضاء الأصلية والأدران فيثبت أو ينفي معتمداً على الأدلة، ومعللاً عمله وموضحاً موقفه واضعاً نصب عينيه خدمة العلم وتقصّي الحقيقة بما يرضي الله.

وإذا كان العمل التاريخي يحتاج منّا لما قدَّمنا فإن الأعمال التاريخية التي تتعلق مواضيعها بالدين مباشرة تتطلب منّا جهداً أكبر ودقة أكثر وتفكيراً أعمق وأناة ما بعدها أناة وذلك لأمرين اثنين.

أولاً ـ لأن الأيدي الآثمة أو الجاهلة التي امتدت إلى التاريخ طالت هذه المواضيع بحقد أكبر ووصلت إلى أكثر مقدساتنا حرمة فما نجا من هذه الأحقاد سوىٰ كتاب الله

العظيم هذا الكتاب الذي تولّىٰ الله حفظه، كما أن السنة الشريفة قيّض الله لها علماء الحديث جزاهم الله عنّا كل خير، حرصوا على حفظها فجاءت إلينا سالمة إلىٰ حد بعيد. وبعض المخطوطات التي لم يتمكنوا من تزويرها أو تحريفها أو إخفائها لوجود أكثر من نسخة حفظت هذه المخطوطات.

ثانياً ـ الحساسية الخاصة التي يبديها جمهور المسلمين تجاه أدبيات الدين هذه الحساسية قامت بأدوار إيجابية في المحافظة على التراث مرات، ولكن في مرات أخرىٰ استخدمت هذه الحساسية ووظّفت سلبياً حول بعض المواضيع وفسّر الأمر على غير الصورة التي أوجد من أجلها، وبذلك نفّذت بعض الجهات غاياتها ضد الإسلام. وضد رجالات الإسلام لعدم وصول العامة إلىٰ ما يرمي إليه الكاتب.

ومن خلال ما تقدم. قررت أن أخوض التجربة بكثير من الحرص على الموضوعية والأناة، وبكثير من الحرص أيضاً على وحدة المسلمين هذه الوحدة التي نتطلبها الآن أكثر من أي وقت مضىٰ. وأن أضع مقدمتي لكتاب الغنية وفيها شيء من رؤياي لا أن تأتي ككتاب إداري ديواني يحال بموجبه المخطوط إلىٰ المطبعة. ومنها إلىٰ السوق ما فيه من التحقيق أو التعليق أو التقديم إلا ما دوّن على الغلاف ـ المؤلف فلان ـ وقدّم له وعلّق عليه وخرّج آياته أو حققه ورتب أحاديثه ـ فلان ـ وفلان هذا لم يخدم بذلك إلا نفسه ولم يعط الكتاب حقّه بل لم يقل فيه كلمة واحدة ـ وهذا ما يسعدنا في بعض الأحيان حينما يسلم المخطوط من المسخ باسم التحقيق. فكثيراً ما حذفت أبواب بكاملها أو أجزاء كاملة من الكتاب دون التعليق على هذا الحذف أو دون الإشارة لما حذف وبذلك يقع الاعتداء على القارىء والكاتب في آن واحد ـ وهذا أشبه بالطالب الذي يستعير كتاباً ليستعين به على واجبه التعليمي فيمزّق الفصل المتوافق مع واجبه ويعيد الكتاب إلىٰ الجهة التي أعارته وقد أفقده دوره دون أن يقدّر خطورة ما أقدم عليه وبأنه حكم على الكتاب بالإعدام.

أرجو المعذرة لهذا الاستطراد الذي لا يخلو من عتاب مقصود لأن المراكز الثقافية تعاني من مثل هذه التصرفات من بعض الطلبة كما يعاني القاريء في السوق من بعض المحققين الذين قبلوا العمل بأجر بخس فانتقموا من الكتاب، فجاء التحقيق ضعيفاً أو مشوهاً للأصل أو مقزماً له.

بعد هذا التمهيد أعود لكتاب الغنية وأقف أمام العنوان وبمجرد ذكر الغنية ومؤلفه

الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني رحمه الله سنذكر معهما **الصوفية والصوفيين. المتصوفة** شيئاً ذلك أو أبينا.

لكن الصوفية وجوداً وتعريفاً. موضوع أشبع بحثاً أو تمحيصاً وممارسة وجهد الباحثون بإرجاع التسمية إلىٰ أصولها اللغوية المعجمية أو الاصطلاحية واختلفوا فيما بينهم بين أن تكون الكلمة وافدة على اللغة أو أنها من أصل اللغة. وإذا كانت من أصل اللغة. فهل اشتقت من الصفاء أم من الصوف أم من صفا ـ الصفوة ـ والصفوة الأخيار ـ ومع مرور الزمن كثرت التعريفات اللغوية والاصطلاحية وخلطت بعض التعريفات بين الصوفية والمتصوفة ومثلت الصوفية فرق متصوِّفة صار المسلم في عرفها يحتاج إلى طلب انتساب لينتسب إلىٰ دينه وهذه الفرق أساءت للأعلام فألحقت بهم حكايات تخريفية لا يقبلها المنطق ولا يقصد منها إلا الإساءة.

بالرغم من أننا فهمنا الصوفية بالمعنىٰ الاصطلاحي بأنها العلاقة الفطرية بين العبد وربه. نقاء في السريرة وطهارة في القلب تقرُّب إلىٰ الله ومن الله بالقول والعمل إن كان بشكل فردي أو جماعي وما التسميات كلها وقضايا الخلاف في تفسير المصطلح إلا خلافات في الشكل لا تزيد المسلمين إلا تفرقة وجدلاً وهذا ما جهد أعداء الإسلام في تثبيته بين المسلمين. فما دام الدين نقياً والمعتقد صحيحاً فنحن أخوَّةٌ في الإسلام. بنيان واحد إذا اشتكىٰ منه عضو يجب أن تتداعى سائر الأعضاء متضامنة متعاونة تلفظ الأدران وعلينا أن لاننسىٰ أن أية فكرة دينية أو غير دينية هناك أناس يعتنقون المبدأ بإيمان كامل ليسوا بحاجة معه إلىٰ أية تسمية أخرىٰ. وهناك أناس يلبسون ثياب التصنع ـ يستغلون الأفكار ويوظفونها والواقع المعزز لمصلحة الأعداء بالدرجة الأولىٰ أو يساعدهم في ذلك تجهيل الأمة واتكاليتها. فأكثر ما ألصق بالصوفية التي قدَّمنا لها أنها الفطرة السمحاء من درنات فيما إذا سُمُّوا الأعلام بالصوفية كان السبب هؤلاء المتصوفة الذين حاربوا الصوفية من الداخل منهم من قصد هذه المحاربة وجنّد لمصلحة الأعداء ومنهم جُنِّد دون قصد منهم وكثرت النقولات التخريفية وفي الحاليـن ـ كانت أسلحة ضد هؤلاء الأعلام.

فإذا كانت الصوفية هي الفطرة. فمن منّا يمكن أن ينكر العلاقة الروحية النقية بين العبد وربه هذه العلاقة التي تسمو بالعبد وترفعه إلى أسمىٰ درجات الطهارة والتقوىٰ فعبادته خالصة لله وجوارحه خاشعة له وسريرته نقية إلا من ذكر الله.

فإذا كانت هذه صفات الصوفية وإذا كان صراط رسول الله هو الصوفية والأئمة

والفقهاء ومن نجلُّهم من الصوفية فكل مسلم صوفي أي من الصفوة بمقدار خشوعه لله وبمقدار تذلله وعبوديته له فهؤلاء الصوفيون على مرِّ التاريخ كانوا الأئمة والعلماء والفقهاء وآلمحاربين ـ ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣] ـ أولئك لهم الدرجات العلىٰ. هم ليسوا هؤلاء المتصوِّفة المنتشرون في كل حي وشارع وقرية يتكسبون من عبادتهم لله ولو أنك أقدمت على عدِّهم لما استطعت لهم عدّاً كُل منهم يدَّعي أنه الوريث المحمدي أو من الأقطاب ـ أو يأتيه الكشف حتىٰ ملَّ الناس الصفوة. واختلط الحابل بالنابل.

فوالله ليس لمحمد وريث إلا من آمن بهذا الدين الحنيف وصار هواه تبعاً لما جاء به محمد ﷺ وصار الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وبذلك تكون كل الأنقياء الأصفياء من أمة محمد ﷺ أولياء لله وورثة لأنبيائه. كل حسب درجة إيمانه وتقاه وحسب هداه وسيره على نهج الرسول الكريم ﷺ مطبقاً لتعاليم الله تعالىٰ على نفسه وأسرته مروراً بوطنه ومجتمعه وصولاً إلىٰ المجتمع الأكبر الذي يضم البشرية كلها. وهؤلاء هم الذين عناهم جلّ جلاله في الآية الكريمة رقم ٦٢ من سورة يونس ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

وهؤلاء الأولياء الأنقياء الأصفياء العلماء والفقهاء. عليهم مسؤوليات بمثل حالهم. وهذا ما جاء بحديث رسول الله ﷺ المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول عليه الصلاة والسلام: «من رأىٰ منكم منكراً فليقومه بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» خرجه مسلم في باب الإيمان يقول في ذلك الشيخ الجيلاني رحمه الله مقسِّماً الذين ينكرون المنكر وينهون عنه إلىٰ ثلاثة أقسام يقول: الذين ينكرون المنكر باليد هم الأئمة والسلاطين. والذين ينكرون المنكر باللسان هم العلماء والفقهاء. والذين ينكرون المنكر بالقلب هم العامة.

من هنا نرىٰ أن الشيخ الجيلاني رحمه الله في تقسيمه هذا اعتبر الأولياء وورثة الأنبياء هم العلماء والفقهاء الذين يشيرون إلىٰ الخطأ ويرسمون الطريق القويم. ونرى أيضاً أن المسلمين عامة يمكن أن يصنّفوا أنفسهم حسب هذه التقسيمات الآنفة الذكر.

وقبل أن استطرد في هذا الجانب مبيِّناً لقارىء هذه المقدمة بعضاً من فصول كتاب الغنية حتىٰ يتبين شأنه وعدد المواضيع التي تطرَّق إليها إلا أنني سأعود فأقول إن من تمسك بدين محمد ﷺ وسار علىٰ نهجه كان من الفائزين ـ ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحـــون﴾ [سورة البقرة: الآية ٣ ـ ٥] صدق الله العظيم ـ.

جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ وسأله يا رسول الله: «إذا صليت المكتوبة، وصمت رمضان، وحلَّلت الحلال وحرَّمت الحرام أأدخل الجنة؟ قال: نعم قال الأعرابي: والله لا أزيدن على ذلك شيئاً. قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه أفلح الأعرابي إن صدق» كلمات قليلة يتناقلها المسلمون رواة وأئمة وعامة فهل وقفوا أمامها وقفة المتفكر ـ لقد سئل الرسول فأجاب وفهم الأعرابي وسمعت الأصحاب فهل وَصَلَنا ما وصلهم وهل الصلاة هي ما نقوم به اليوم ـ وأين الصدق في العبادات والسلوكية التي عدَّد الأعرابي أمام رسول الله ﷺ. فالصدق في الصلاة والصدق في الصيام والصدق في التعامل والتسامح كلها حالات خشوعية صافية متفكرة عابدة نتائجهـا التقوىٰ والتقرُّب إلىٰ الله. وأسمىٰ درجات التقرّب إلىٰ الله الصدق في عبوديتك له وهذه العبودية تتحقق بشروط ـ أهمها ـ ثلاثة:

أ ـ الحب ـ الحب لله ورسوله ـ الحب في الله خالياً من أية أغراض شخصية أو نوازع دنيوية.

ب ـ الخوف من الله ـ وكل مفردة من هذه المفردات يمكن أن تشمل بحثاً كاملاً. فالمؤمن الذي يخاف الله لا يخاف أحداً معه وعندما يخافه لا يقدِم على أي عمل لا يرضيه لا في سريرته ولا في علانيته ومن يخاف الله لا يخاف فيه لومة لائم.

حـ ـ الرجاء من الله ـ والرجاء هو الأمل الذي يحيا عليه المؤمن في الوصول إلىٰ غاية إيمانه ومحبته وخوفه مما وُعِدَ به.

فالصوفية الصفوة هم أولئك الذين وصلوا إلىٰ هذه الحقائق وعبدوا الله حق عبادته فكانوا أولياء الله بحق. يقول أحمد الشرباصي: إن حقيقة التصوف الكاملة هي مرتبة الإحسان في الإيمان ومرتبة الإحسان وضّحها الرسول الكريم ﷺ لأصحابه في حديث جبريل عليه السلام مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه: عندما جاءه رجل شديد بيـاض الثيـاب شـديـد سـواد الشعـر وسـأل الـرسـول ﷺ عـن الإسـلام والإيمـان، والإحسان ـ وحينما سأله عن الإحسان أجاب عليه الصلاة والسلام: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

هؤلاء إذاً هم الصوفية فهموا الإيمان على حقيقته وعبدوا الله كأنهم يرونه وشغلتهم عيوبهم عن عيوب الناس وقد اتهموا باتهامات شتىٰ جرَّتها عليهم المتصوِّفة ـ الذين تاجروا بالصوفية أي بمرتبة الإحسان فاتهموا بالاتكالية تارة والانهزامية أخرىٰ والزندقة ثالثة ولا ندري بماذا يمكن أن يتهموا بعد ذلك. فإذا كانت التهم موجهة لهؤلاء المتصوفة الذين نرىٰ ونسمع كما ذكرنا عنهم فالتهمة حق وواجبة، وعلينا جميعاً أن نقف الموقف نفسه فهذا موقف الإسلام والدفاع عنه. ولكن أن يَتَطَاوَلَ البعض ليرمي الأئمة والمجتهدين ورواة الحديث وأمثال هؤلاء الأعلام بسبابه باسم الدفاع عن الدين فهذا ما لا يَسْمَحُ به الإسلام ولا ترضىٰ عنه الأخلاق فكم سمعنا بالاتهامات تكال إلى حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله. وكم سمعنا مدَّعياً أبعد نظراً من الإمام الشافعي رحمه الله. ممن لو جلس بحضرة الإمام الشافعي وأراد توجيه سؤال للإمام لتعلثم في نطقه فيما إذا سامحه سامحناه بجر المرفوع ونصب المجرور.

إذاً علينا أن نكون مؤمنين في رسالة أمتنا مؤدبين في سلوكنا الإسلامي. مفرقين في حديثنا بين الغث والثمين بين الصوفي وبين المتصوف ـ وكثيراً ما اتهمت الصوفية بمحاربة العمل والتخاذل عن القتال والتسكع على الأرصفة ـ فإذا ما كانت هذه ميزات الصوفية. فكيف شمل هذا المصطلح شتنا أو أبينا.

من صفا في دينه وصفا في أخلاقه وقاتل الأعداء فكان مثال المجاهد ولم يأكل إلا من عمل يده ودعا إلىٰ العمل والكسب الحلال. إذاً هذه الأسلحة التي تستخدم ضد الصوفية هي ميزات المتصوفة وكل من أظهرها أو أظهر بعضاً منها كان متصوفاً واتبع الأخلاق وسلك السلوك الذي لا يرضىٰ عنه الإسلام وفتح بذلك ثغرات لأعداء الإسلام للنفاذ منها والهجوم على المسلمين دون التفريق وأدَّىٰ هذا إلىٰ زرع التفرقة والشحناء. والجدل العقيم بين صفوف المسلمين نتيجة الفعل وردِّ الفعل وقد ركب الموجة بعض الكتّاب والمفكرين فانحرفوا عَمَّا يجب عليهم بحثه والتصدي له. وكل قارىء واعٍ غير متحيِّز يمكن أن يلاحظ ردَّات الفعل هذه من خلال قراءاته لكلا الطرفين.

وأقصد بالطرفين الطرف المهاجم للصوفية والمدافع عنها. ويتطاول كل منهم على أعلام التاريخ وشيوخ الإسلام ومجتهديه بأسلحة فتاكة تنخر في جسد الأمة الإسلامية تفرُّق ولا تجمِّع. تزرع البغضة والحقد بين أهل الدين الواحد. وأعداء الإسلام هم المستفيدون الوحيدون من هذا الواقع علماً أن صفات المؤمن الصافي السريرة الطاهر

القلب هو الحرص على وحدة أمته والحرص على قوتها واحترام أعلامها والدفاع عنها وَالذَّوْدِ عن شرفها وقداستها.

ولطالما عصمنا الله سبحانه وتعالىٰ مما كان يقصم ظهر الأمة الإسلامية أكثر من مرة. عبر التاريخ ولطالما جلَّ جلاله وهبنا نعمة العقل والتفكير فما علينا إلا أن نحدد أعداء الأمة وأن نضع أولويات للأخطار وأن نتمسك بالقول الواحد والموقف الثابت فالعدو لا يرحم وكلُ منّا مستهدف الإسلام جميعاً مستهدف بكل طوائفه ومذاهبه ومشاربه والمؤمن الحق هو الهدف الأول للأعداء في أي طائفة كان وأي مذهب تمذهب أما المنافق الذي يظهر ما لا يبطن لم يستهدف خلال عصور التاريخ ولن يستهدف في المستقبل. وأن لا تكون خلافاتنا حول الشارب واللحية ـ والدخول لقضاء الحاجة. فطريق الأمة بيّـن واضح والأحرص على هذه الأمة أحبهم لأبنائها. فقد كان دائماً للأمة علماؤها وأمناؤها وسيوفها وقادتها والأمراء. وفي اللحظات الأخيرة من حياته ترك لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر من درس في الحكم وفي الحكمة وعلينا ألا ننساها. فهو الذي قال: لو كان أبو عبيدة حياً لوليته وإن سألني ربي قلت: إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبو عبيدة أمين هذه الأمة.

وهو القائل أيضاً: لو كان سالم مولىٰ أبي حذيفة حياً لوليته وإن سألني ربي قلت: إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: سالم أحبُكم لله ـ أي سالم يحب الله أكثر من أي واحد منكم.

علينا أن نتعلم من سيرة هؤلاء العظماء كيف نحترم أنفسنا كيف نحترم الكبار كيف نحترم المعلمين ـ ولنا في التاريخ دروس شتىٰ ـ تحكي قصص الأجداد كيف احترموا أنفسهم ومعلميهم فاحترمهم العالم أجمع.

العالم بكل كوادره ومثقفيه ومفكريه مسلمين وغير مسلمين يجِترمون الأعلم والأذكىٰ والأكثر صدقاً وجرأة وأناة ـ وهذا شيء من الود لمن أجهد نفسه وقدَّم لنا علمه ومعرفته فدعونا نتخلص من هذه الحساسية التي تغزونا من احترام المريد لشيوخه فالتلميذ عليه أن يحترم أساتذته وأحمد شوقي. الشاعر ـ يقول:

قـــم للمعلـــم وفِّـــهِ التبجيـــلا كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا

فالاحترام واجب والاعتراف بالفضل أيضاً واجب لكـنّ المغالاة في الاحترام

مرفوضة فقد غالىٰ بعضهم في هذا الاحترام. حتى وصل إلى حدِّ العبودية وصار له طقوساً خاصة فيها كثير من التذلل المرفوض فلقد أكد الدين وأكدت الأخلاق على احترام أولي الفضل فالعلماء والعباقرة يحترمون معلميهم حتىٰ ولو فاقوهم معرفة وعلماً فمن منّا لا يحترم المفكرين عبر التاريخ الإنساني وأساتذة الماضي دون أن نعرفهم إلا من خلال القراءة فتحوا لنا آفاق المعرفة وأضاءوا لنا الطريق. فالمعلمون هم العلماء والفقهاء والعباقرة الكبار لأنهم فتحوا لهؤلاء الكبار أبواب المستقبل فعلىٰ ماذا نحن مختلفون ـ الزيادة مرفوضة والتطرف مرفوض أيضاً وهو مرض من أمراض العصر علينا أن نبعده عن ديننا وعن مجتمعنا وعن جسم الأمة كلها فقضايانا كبيرة وعلينا أن نكون كباراً.

فالكبير هو الذي يحترم الكبير ويعطف على الصغير ويتجاوز عن هناته ويرفض أن يتذلل إلاّ لله وهنا تحضرني حادثة صغيرة كبيرة حدثت في زمن رسول الله ﷺ ـ كان جالساً عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر رضي الله عنه. فقدِم عليهما علي كرَّم الله وجهه فنهض أبو بكر رضي الله عنه في استقبال علي كرَّم الله وجهه وليفسح له في المجلس فانبسطت أساريره عليه الصلاة والسلام وقال: «لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل» صدق رسول الله ﷺ.

أمّا ما تتهم به الصوفية بالابتعاد عن العمل والركون في الاتكالية والانهزامية والتذلل، فهذا ما لم يثبته التاريخ عن الصوفية التي نتكلم عنها كما أننا قلنا عن بعض الحكايات عنهم تخريفية فهذه الاتهامات اتهامات لا أساس لها. وأما ما ورد من الشطحات فأكبر الظن عندنا ـ أنها مدسوسة عليهم ـ.

فشيخنا صاحب الغنية في هذا الكتاب الذي يغلب عليه الطابع الفقهي. يفرد فصلاً كاملاً في فضل العمل والكسب الحلال حيث يبدأ بحديث رسول الله ﷺ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» صدق رسول الله.

ويتابع الشيخ الجليل فيروي عن ثابت البناني قوله: «بلغني أن العافية في عشرة أشياء تسعة منها في طلب المعيشة وواحدة في العبادة».

كمايروي كثيراً من الأحاديث الواردة عن الرسول عليه الصلاة والسلام التي تحض على العمل وتحث على الكسب الحلال. فيروي أن داوود عليه السلام سأل ربه أن يجعل كسبه بيده فألان له الحديد. وأن إبنه سليمان عليه السلام. قال: «ربي أعطيتني من الملك ما لم تعط أحداً قبلي وسألتك أن لا تعطيه أحداً بعدي فأعطيتنيه فإن قصَّرت في شكرك فدلني على عبد أشكر منّي فأوحىٰ الله تعالى: يا سليمان إن عبداً يكتسب بيده ليسدَّ جوعه ويستر عورته ويعبدني هو أشكر لي منك، فقال سليمان: رب إجعل كسبي بيدي؟ فأتاه جبريل عليه السلام وعلَّمه عمل الخوص. يتخذ منه القفاف فأول من عمل الخوص سليمان عليه السلام. والله أعلم».

ويتابع رحمه الله. قيل عن بعض الحكماء: أنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة العلماء، والأمراء، والغزاة، وأهل الكسب،

فالأمراء هم الدعاة يدعون الخلق ـ والعلماء هم ورثة الأنبياء يدلُّون الخلق على الآخرة والناس يقتدون بهم، والغزاة هم جند الله تعالىٰ في الأرض يقلع بهم الكفار، وأما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالىٰ بهم مصالح الخلق وعمارة الأرض.

فالرعاة إذا صاروا ذئاباً فمن يحفظ الغنم؟ والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فبمن يقتدي الناس؟ والغزاة إذا ركبوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمتىٰ يظفرون على عدوهم؟ وأهل الكسب إذا خافوا الناس فكيف يأمنهم الناس؟

هذا هو الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ مشايخ الصوفية وسيد سن أسيادها ـ وتتهم الصوفية بأنها تحارب العمل. وترضىٰ بالفتات. ومن قال إنه لا يتكلم عن هذا الشيخ الجليل عند تناوله الصوفية نقول: إرتبطت الصوفية بهؤلاء الأعلام ولم ترتبط ـ بالمتصوِّفة المتخاذلة.

والشاعر الجاهلي يقول:

لو كان في الألف منّا واحد فدعوا من فارسُ؟ خالهم إياه يعنونا

«إلتقى يوماً البلخي بإبراهيم بن الأدهم رحمهما الله فسأل بن الأدهم البلخي لماذا لا تعمل يا بلخي؟ وترضىٰ بالتكسب؟ فقال البلخي: علِّمني ذلك موقف شاهدته في فلاة رأيت طيراً مكسور الجناح ملقىٰ في أرض قفراء لا زرع فيها ولا ماء فقلت من أين يأكل هذا الطير؟ راقبت الأمر وبعد فترة رأيت طائراً آخر يحمل طعاماً في منقاره وجاء إلىٰ

الطير المكسور الجناح فأطعمه فقلت: إن الله هيّأ لهذا الطير في هذه الأرض الطعام فلماذا لا أتّكل على رازق الطير في تأمين رزقي؟ فقال ابن الأدهم: ويحك لماذا فضلت أن تكون الطير المكسور الجناح ولم تفضّل أن تكون الطير الآخر وتتكل على الله واليد العليا دائماً أحب إلى الله من اليد السفلىٰ. فقال البلخي: أنت والله معلمنا».

هذه الحادثة وأمثالها من أخلاق الصوفية وأدبياتها من درسها لم يصدِّق بعد ذلك ما يقال للصوفية وما يروىٰ عنها من روايات لا تبغي إلا السوء ومن يروي مثل تلك الروايات دون دراسة ودون تحقق من صحتها لا يهمه إلا الطعن والفرقة إذا كان يفهم من هم الصوفية وأما إذا كان جاهلاً لم يستطع أن يصل إلىٰ إدراك المعنىٰ مما يقرأ فهذا يساعد ذاك ويهيء له مادة ينقلها.

ونحن إذا كنا سنظل نتناول تاريخنا بالسوء ونطعن برجالاته وبديننا وعلمائه. وعظمائنا وقادتنا فسوف تكون نهايتنا الهاوية لأن القزم لا يحتاط لنفسه ومن لا تاريخ له لا حاضر له وكل دروس التاريخ وتجارب المجتمعات تؤكد أن الأمة التي لا تحترم ماضيها ولا تحفظ التاريخ نهايتها السقوط المحتّم. فأصحاب الزوايا التدريسية قبل قرن من الآن كانوا صوفيين وإذا ما عرفنا أن الزوايا التدريسية قبل قرن كانت العلم والسراج المتبقي في الظلمة. من هذه الزوايا إنطلق المجاهدون الأشاوس وما عمر المختار إلا شيخ صوفي. صفت منه السريرة وسما فكان العلم الأعلىٰ في سماء ليبيا الحبيبة وهل كان المختار وحيداً في مقارعة الأعداء بل كل تلامذته ومريديه صاروا جندَ الله وجند الحرية والعزة.

شيء آخر أريد أن أنوّه به وهو ما نلاحظه من كثرة في المفتين الذين يدَّعون العلم والمعرفة يكفِّر بعضهم بعضاً ـ بدعوىٰ الحرص على الدين والدفاع عن المبدأ. فمن أراد الدفاع عن الدين حقاً ـ ترك هذا التشاحن وليدلي بالنصيحة لأخيه إذا كان يجيدها وإذا كان الوقت مناسباً والمكان ملائماً.

فالنصيحة لها شروطها في النقد الأدبي يستحسن أن يبدأ الناقد بالثناء على الجهد المبذول في العمل حتىٰ ولو كان العمل لا يستحق الثناء عليه ولنذكر أنه من قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه حتىٰ ولو كان كاذباً وحسابه على الله ـ وحادثة خالد بن الوليد رضي الله عنه في حروب الردة وقتل مالك بن نويرة مشهورة ـ تروي الحادثة أن مالكاً عندما رأى السيف فوق رأسه قال: لا إله إلا الله ـ فلم يخل عنه خالد بل قتله ـ وعندما أوقفه الخليفة الصدِّيق رضي الله عنه سائلاً عن الحادثة قال خالد: مدافعاً عن نفسه لقد قالها خوفاً يا

خليفة رسول الله ـ فأجاب الخليفة: هلاَّ شققت على قلبه.

فما لنا الآن كل من قرأ كتاباً أو حفظ حديثاً أو حضر مجلساً. أخذ يتطاول على علماء الحديث ومفكري الأمة ويتجرأ على الفتوىٰ حتىٰ على أرواح الناس فالإسلام يجيز قتل المرتدَّ عنه ولو دوَّنا ما نسمع وجمعنا فتاوى هؤلاء العلماء الفطاحل لأتهم الكل الكل.

فلنتق الله في ديننا ـ وليعرف كل منَّا قدر نفسه وحجمه الطبيعي وأن نرجع لحديث رسول الله ﷺ «أجرأكم على الفتوىٰ أجرأكم على النار» خرجه... فمن أنكر على متصوف زندقة رمىٰ الصوفية كلها بالزندقة ونسي حديث رسول الله ﷺ «رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه» ونسوا أيضاً قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وأخبر عنهم رسول الله ﷺ في حديث طويل حيث أغلقت الصخرة عليهم باب الغار ودعا كل منهم بدعوته السرية بينه وبين ربه فانفتح الغار وخرجوا ـ ونسوا حادثة العبد الصالح الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الكهف.

لكن لو سئل الواحد منّا عن أمثال هؤلاء لقلنا أمّا نحن فإننا لا نرىٰ منهم أحداً ـ ولكن يُمكن أن يكونوا بيننا يأكلون القديد كما نأكل.

الكثيرون تكلموا عن الصوفية ووضعوا لها برامج ومناهج فالصوفية الصفوة منهاجها منهاج رسول الله ﷺ ومن لم يكن منهاجه منهاج رسول الله فهو ليس بصوفي ولا مسلم.

الصوفية تحارب النفس والهوىٰ ـ والقرآن الكريم يحارب الهوىٰ والنفس وقد أقام النفس مقام الشيطان في غير موضع ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئت به»

وهذا الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني رحمه الله يفنّد في كتابه هذا فقهاً وآداباً وفلسفة ويتكلّم في التاريخ والنحو والتفسير وفي الإيمان والأركان. وقد جاء عنه أنه كان يتكلّم في ثلاثة عشر علماً في التفسير وفي الحديث وفي المذهب والخلاف والأصول والنحو واللغة ويقرأ بالقراءات ويفتي في بغداد على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما هذا الرجل الكبير في بغداد وبغداد وقتها حاضرة العلم لا ينجو من ألسنة الأقزام وهو الذي تمثَّل له الشيطان يوماً وسدَّ عليه الأفق وناداه أنا ربك وبكل قوة الإيمان وثبات في الموقف والمعرفة الحقة أجاب الشيخ الجليل: خسئت أيها

الملعون ربي لا أراه إلا يوم الحشر. فتلاشىٰ الشيطان دخاناً وانهزم الباطل. هذا الرجل العالم الذي ما ترك لنا باباً إلا طرقه وله في الصوفية والتصوف أكثر من فصل في هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن. يقول في تعريف الصوفي:

الصوفي: «من كان صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها سالكاً لحميد مذاهبه ملازماً للحقائق غير ساكن بقلبه أحد من الخلائق صادق مع الحق حسن الخُلُق مع الخلق»

والمراهنة هنا أن المسلمين جميعاً على اختلاف مشاربهم. إذا ما قرأوا هذا التعريف وجدوا فيه تعريفاً للمؤمن الحق الذي وصفه الله تعالىٰ في أول سورة المؤمنين.

﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١ ـ ٥] صدق الله العظيم وقد أورد تعريفاً للمتصوف ـ فقال:

المتصوِّف ـ هو المتكلِّف في التصوف وتكلَّف تصوَّف كما يقال لمن لبس القميص تقمَّص ـ ولمن دخل في الزهد تزهَّد ـ أي سار في طريق الزهد فإذا ما تابع وكان هواه تبعاً لما جاء به رسولنا الأكرم ﷺ كان زاهداً كما يمكن أن يكون مدسوساً على الصوفية وسيبقىٰ متصوِّفاً يجرُّ على الصوفية ويلاته.

فالصوفية موجودة والصدق والاستقامة والتقىٰ يمكن أن يوصل المؤمن إلىٰ درجات وكرامات لا يمكن أن نتصورها ـ ولا يحدُّها المنطق فحديث جبريل عليه السلام فيما نقله عن ربه ووصلنا من رسول الله أنّه قال: «ما تقرَّب إلي عبدي بمثل أداء فرائضي. وإنه ليتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش»..

ولن أستطرد أكثر من ذلك فالكتاب غني عن أي تعريف. وكاتبه علم وعالم في هذا الدين وعلينا جميعاً أن نكون مسلمين حقيقيين حتىٰ نكون خليقين بحمل الرسالة. وأن نمثِّل ديننا خير تمثيل وأن نترفع عن الصّغائر. وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والحمد لله رب العالمين.

محمد خالد عمر

ترجمة المؤلف

هو أبو صالح سيدي عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بـن موسى الجون بن عبد الله المحضي بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين. ولد رضي الله تعالى عنه سنة سبعين وأربعمائة، وتوفي في سنة إحدى وستين وخمسمائة، ودفن ببغداد رضي الله تعالى عنه، وقد أفرده الناس بالتأليف، ونحن نذكر إن شاء الله تعالى نبذة من مناقبه مما به تأديب ونفع للسامع فنقول وبالله التوفيق.

كان رضي الله عنه يقول: عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده، وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابي ومريديّ ومحبيّ إلى يوم القيامة آخذ بيده، يا هذا فرسي ملجم، ورمحي منصوب، وسيفي شاهر، وقوسي موتر، أحفظك وأنت غافل. وحكى عن أمه رضي الله عنها وكان لها قدم في الطريق أنها قالت: لما وضعت ولدي عبد القادر كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان، ولقد غمّ على الناس هلال رمضان، فأتوني وسألوني عنه، فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم له ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف، ولد لا يرضع في نهار رمضان، وكان رضي الله عنه يلبس لباس العلماء ويتطيلس، ويركب البغلة، وترفع الغاشية بين يديه، ويتكلم على كرسي عال، وربما خطى في الهواء خطوات على رؤوس الناس، ثم يرجع إلى الكرسي. وكان رضي الله عنه يقول: بقيت أياماً كثيرة لم أستطعم فيها بطعام، فلقيني إنسان فأعطاني سرّة فيها دراهم، فأخذت منها خبزاً سميذاً وخبيصاً، فجلست آكله، فإذا برقعة مكتوب فيها: قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: «إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقي ليستعينوا بها على الطاعات، أما الأقوياء فما لهم وللشهوات» فتركت الأكل وانصرفت. وكان رضي الله عنه يقول: إنه ليرد عليّ الأثقال الكثيرة لو

وضعت على الجبال لتفسخت، فإذا كثرت علي الأثقال وضعت جنبي على الأرض وتلوت ﴿فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا﴾[سورة الإنشراح: ٥ـ٦]ثم أرفع رأسي، وقد انفرجت عني تلك الأثقال، وكان رضي الله عنه يقول: قاسيت الأهوال في بدايتي، فما تركت هولاً إلا ركبته، وكان لباسي جبة صوف، وعلى رأسي خريقة، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخسّ من شاطىء النهر، ولم أزل آخذ نفسي بالمجاهدات حتى طرقتني من الله تعالى الحال، فإذا طرقتني صرخت وهمت على على وجهي، سواء كنت في صحراء أو بين الناس وكنت أتظاهر بالتّخارس والجنون، وحملت إلى البيمارستان وطرقتني مرة الحال حتى متّ، وجاءوا بالكفن والغاسل، وجعلوني على المغتسل ليغسلوني، ثم سرى عني وقمت. وقال له رجل مرة: كيف الخلاص من العجب؟ فقال رضي الله عنه: «من رأى الأشياء من الله وأنه هو الذي وفقه لعمل الخير، وأخرج نفسه من البين فقد سلم من العجب». وقيل له مرة: ما لنا لا نرى الذباب يقع على ثيابك؟ فقال: «أيّ شيء يعمل الذباب عندي وأنا ما عندي شيء من دنس الدنيا ولا عسل الآخرة». وكان رضي الله عنه يقول: «أيما امرىء مسلم عبر على باب مدرستي خفف الله عنه العذاب يوم القيامة». وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتى آذى الناس، فأخبروه به، فقال: إنه رآني مرّة، ولا بد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك؛ فمن ذلك ما سمع له أحد صراخاً، وتوضأ رضي الله عنه يوماً فبال عليه عصفور، فرفع رأسه إليه وهو طائر، فوقع ميتاً، فغسل الثوب ثم باعه وتصدّق بثمنه، وقال هذا بهذا. وكان رضي الله عنه يقول: يا ربّ كيف أهدي إليك روحي وقد صحّ بالبرهان أن الكلّ لك. وكان رضي الله عنه يتكلم في ثلاثة عشر علماً، وكانوا يقرؤون عليه في مدرسته درساً من التفسير، ودرساً من الحديث، ودرساً من المذهب، ودرساً من الخلاف؛ وكانوا يقرؤون عليه طرفي النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو. وكان رضي الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وكان فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشدّ الإعجاب فيقولون: سبحان من أنعم عليه.

ورفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث إنه لا بد أن يعبد الله عزّ وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه، فماذا يفعل من العبادات؟ فأجاب على الفور: يأتي مكة ويخلي له المطاف ويطوف أسبوعاً وحده فإنه تنحلّ يمينه، فأعجب

علماء العراق وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها. ورفع له شخص ادعى أنه يرى الله عزّ وجل بعيني رأسه، فقال: أحقّ ما يقولون عنك؟ فقال: نعم، فانتهره ونهاه عن هذا القول، وأخذ عليه أن لا يعود إليه، فقيل للشيخ أمحقٌّ هذا أم مبطل؟ فقال: هذا محقّ ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال، ثم خرق من بصيرته إلى بصره لمعة، فرأى بصره ببصيرته، وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظن أن بصره رأى ما شهده ببصيرته، وإنما رأى بصره ببصيرته فقط، وهو لا يدري، قال الله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [سورة الرحمن، الآية: ١٩ ـ ٢٠] وكان جمع من المشائخ وأكابر العلماء حاضرين هذه الواقعة فأطربهم سماع هذا الكلام، ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال الرجل، ومزّق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلى الصحراء.

وكان رضي الله عنه يقول: «تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني: يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك المحرّمات، فقلت: إخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان؛ ثم خاطبني يا عبد القادر نجوت منّي بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لله الفضل، فقيل له كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله قد حللت لك المحرّمات. وسئل رضي الله عنه على صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية فقال: الوارد الإلهي لا يأتي باستدعاء، ولا يذهب بسبب، ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت مخصوص؛ والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً، وسئل رضي الله عنه عن الهمة فقال: هي أن يتعرّى العبد بنفسه عن حبّ الدنيا، وبروحه عن التعلق بالعقبى، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى، ويتجرّد بسرّه عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره. وسئل رضي الله عنه عن البكاء فقال: إبك له، وابك منه، وابك عليه ولا حرج. وسئل رضي الله عنه عن الدنيا فقال: أخرجها من قلبك إلى يدك، فإنها لا تضرّك. وسئل رضي الله عنه عن الشكر فقال: حقيقة الشكر: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، ومشاهدة المنة وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر. وكان يقول: الفقير الصابر مع الله تعالى أفضل من الغنيّ الشاكر له، والفقير الشاكر أفضل منهما، والفقير الصابر الشاكر أفضل منهم، وما خطب البلاء إلا من عرف المبلى. وسئل رضي الله عنه عن البقاء فقال: البقاء لا يكون إلا مع اللقاء، واللقاء يكون كلمح البصر أو هو أقرب، ومن علامة أهل اللقاء أن لا يصحبهم في وصفهم به شيء فان، لأنهما ضدّان. وكان يقول: متى ذكرته فأنت محب،

ومتى سمعت ذكره لك فأنت محبوب، والخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك. ولما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه في العلم، فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه؛ فلما استقرّ بهم المجلس أطرق الشيخ، فظهرت من صدره بارقة من نور، فمرّت على صدور المائة فمحت ما في قلوبهم، فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة، ومزّقوا ثيابهم، وكشفوا رؤوسهم؛ ثم صعد الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم، فاعترفوا بفضله. وكان من أخلاقه أن يقف مع جلالة قدره مع الصغير والجارية، ويجالس الفقراء ويفلي لهم ثيابهم، وكان لا يقوم لأحد قط من العظماء ولا أعيان الدولة، ولا ألم قط بباب وزير ولا سلطان.

وبالجملة فمناقبه لا تحصى، وهي أكثر من أن تستقصى، رضي الله عنه وعن جميع الأولياء والصالحين، ورحمنا بهم وحشرنا في زمرتهم أجمعين.

﴿هذا بيانٌ للناس وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٨]

(قرآن كريم)

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه، وعلى آله وأحبائه:

قال غوثنا الأعظم، سند العرب والعجم، نور الثقلين، قطب الخافقين، محيي السنة أبو محمد عبد القادر الحسني الحسيني الجيلاني، قدّس الله سرّه العالي، وأفاض بركاته على من اقتدى بسرّه السامي:

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الجزاء والثواب، وباسمه يشفي كل داء، وبه يكشف كل غمة وبلاء؛ إليه ترفع الأيدي بالتضرّع والدعاء، في الشدة والرخاء، والسرّاء والضرّاء، وهو سامع لجميع الأصوات، بفنون الخطاب على اختلاف اللغات، والمجيب للمضطر الدعاء، فله الحمد على ما أولى وأسدى، وله الشكر على ما أنعم وأعطى، وأوضح الحجة وهدى، وصلواته على صفيه ورسوله الذي به من الضلالة هدى، (محمد) وآله وأصحابه وإخوانه المرسلين، والملائكة المقرّبين وسلم تسليماً.

أما بعد: فقد ألحّ عليّ بعض أصحابي وشدّد في الخطاب، في تصنيف هذاالكتاب، لحسن ظنه في الإصابة والصواب، والله هو العاصم في الأقوال والأفعال والمطلع على الضمائر والنيات، والمنعم المتفضل بتسهيل ما أراد، وإليه عزّ وجلّ الالتجاء بتطهير القلوب من الرياء والنفاق، وإبدال السيئات بالحسنات، إنه غافر للذنوب والخطيات،

وقابل التوبة من العباد. فلما رأيت صدق رغبته في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات، ومعرفة الصانع عزّ وجلّ بالآيات والعلامات، ثم الاتعاظ بالقرآن والألفاظ النبوية في مجالس نذكرها، ومعرفة أخلاق الصالحين سنمرّ بها في أثناء الكتاب، ليكون عوناً له على سلوك طريق الله عزّ وجلّ وامتثال أوامره وانتهاء نواهيه، ووجدت له نية صادقة قد صدرت من فتوح الغيب فيّ، فأجبته إلى ذلك فسارعت مشمراً مبتغياً محتسباً للثواب، راجياً للنجاة في يوم الحساب، إلى جمع هذا الكتاب، بتوفيق رب الأرباب، الملهم للصواب، وقد سميته:

الغنية
لطالبي طريق الحق عزّ وجلّ

بـاب

نبدأ فنقول: الذي يجب على من يريد الدخول في ديننا. أولاً: أن يتلفظ بالشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام. ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى على ما سنبينه إن شاء الله تعالى، إذ كان الإسلام هو الدين عند الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩] وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥] أتى بذلك دخل في الإسلام وحرم قتله وسبي ذراريه واستغنام أمواله، ويغفر له ما تقدم من التفريط في حق الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [سورة الأنفال: الآية ٣٨] وقول النبي ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ولقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» ثم يجب عليه الغسل للإسلام؛ لما روي أن النبيّ ﷺ أمر ثمامة بن أثال وقيس بن عاصم لما أسلما بالغسل. وفي رواية «ألق عنك شعر الكفر واغتسل». ثم يجب عليه الصلاة، لأن الإيمان قول وعمل، لأن القول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها. وللصلاة شرائط تتقدمها، وهي الطهارة بالماء الطهور، والتيمم عند عدمه، والستارة بثوب طاهر، والوقوف على بقعة طاهرة، واستقبال القبلة والنية ودخول الوقت. أما الطهارة فلها فرائض وسنن. والفرائض في ظاهر المذهب عشرة: النية أولاً، وهو أن ينوي بطهارته رفع الحدث، وإن كان تيمماً فاستباحة